الفضاء النصي في القصة الموجهة إلى الطفل- نماذج مختارة

Text space in the story directed to the child- Selected models

د/ سعاد طويل *

تاريخ الإرسال: 19 /2020/07	تاريخ القبول: 28 / 09 / 2020	تاريخ النشر: 30 / 03 / 2021

الملخص:

حاولنا في هذا البحث مقاربة الفضاء النصي في القصة الموجهة إلى الطفل، وذلك انطلاقا من العنوان والفاتحة النصية والرسومات والألوان والخاتمة، باعتبارها عتبات ظاهرة وأول ما يشد الطفل، وهي عناصر تشكل بناء الخطاب القصصي في علاقاته المتشابكة. باحثين في كيفية اشتغالها، والكشف عن دورها في جذب اهتمام الطفل، ومدى قدرتها على التأثير في المتلقي الصغير واستيعابه لمضمون القصة.

الكلمات المفتاحية: الفضاء النصي، القصة الموجهة إلى الطفل، الغلاف، الرسومات، الألوان.

Abstract:: In this research, we tried to approach the textual space in the story directed to the child, starting from the title, the textual opener, drawings, colors, and the conclusion, as the visible thresholds and the first thing that pulls the child, and these are the elements that constitute the construction of storytelling in its intertwined relationships. Researching on how it works, revealing its role in attracting the child's attention, and its ability to influence the small recipient and his understanding of the content of the story

Key words.: textual space, child-directed story, cover, graphics, colors.

المؤلف المرسل: سعاد طويل، **souadtouil07@yahoo.fr**

*جامعة محمد خيضر- بسكرة.**souadtouil07@yahoo.fr**

1-مقدمة:

توجهت كتب أدب الطفل إلى العناية بالفضاء النصي، وذلك لما له من أثر يجعل من الوظيفة التي يؤديها في تشكيل النص وتأثيث حضوره ذات أهمية كبيرة لاستيعاب مضمون القصة، وهذه العناصر تعد مكونا مهما في بناء النص الموجه إلى الطفل، وهو ما نحاول بحثه ساعين إلى إبراز العلاقة الجامعة بينها، من خلال مقاربة أربع قصص وهي: ودعة وإخوتها السبعة، سارق الكعكة، الجميلة النائمة، وحيوانات الغابة الخضراء.

وقبل المقاربة النصية نحاول الوقوف على بعض العتبات النظرية التي وجدناها ضرورية لإنارة البحث.

2-تعريف الفضاء النصي:

هو أول العتبات النصية التي تشد العين أولا اعتمادا على الرؤية البصرية، وهو الفضاء الذي تشغله الكتابة على الصفحة، ويتناول الغلاف وعنوان الكتاب والبداية والنهاية..، وقد فصل أحمد نجيب في هذا الفضاء النصي أو التشكيل البصري، ويتمثل عنده في(تحديد حجم الكتاب واختيار حجم صفحاته، والبنط الذي يطبع به مقاس الحروف، وطريقة عرض الموضوع في داخله، وطريقة تنسيق الصفحات الأولى، وتنظيم العناوين الفرعية في الداخل على نسق معين، وتوزيع الصور والرسوم، واختيار مقاساتها وأماكن وضعها في أركان الصفحات، أو أعلاها، أو في أسفلها، على اليمين أو اليسار، أو في صفحات كاملة، ومراعاة أن تكون مصاحبة للكلام المتصل بها، كل هذا، بل واختيار موضوعات الصور والرسوم أيضا، وطريقة رسمها، أي أسلوب الرسم فيها، وأماكنها من الكتاب حتى لا تتكدس في بعض الصفحات، بينما تفتقر إليها صفحات أخرى، ومراعاة تغطيتها أوشمولها للأجزاء التي تحتاج لرسم إيضاحي مناسب مع التصرف لاستعمال البراويز والخطوط، وتغيير مقاسات الحروف، ونوع الخط في بعض الأماكن باستعمال

أنواع أخرى غير النسخ العادي...، هذا بالإضافة لتصميم الغلاف، وتوزيع الرسم والكتابة عليه، واختيار الألوان في الخارج والداخل، ووضع "ماكت" كامل للكتاب، و"ميزانباج" تفصيلي للصفحات، كل هذا وغيره يضفي على الكتاب صفاته المحسوسة، ويكون في نفس الناظر إليه انطباعه الأول: إما بالإعجاب والاستلطاف والرغبة في اقتنائه وقراءته، وإما بالنفور منه والانصراف عنه بلا وعي إلى غيره من الكتب)[1].

وبالتالي هو يسهم في تيسير مضمون القصة للطفل وتبسيطها ومن ثمة استيعابها، وهذا هو الأصل في الأدب الموجه إلى الطفل؛لأن (كاتب الأطفال يجب أن ييسر لقرائه سبيل متابعة القراءة واستيعاب الأحداث والأفكار المختلفة التي يسوقها في قصته، والاستيعاب يحتاج بالضرورة إلى فهم وتذكر وربط، وكل هذا يجب أن يتم في حدود الأطفال في مرحلة النمو التي وضعت لها القصة)[2].

ويمكن القول إن الفضاء النصي هو الطريقة التي يتشكل بها النص؛ التي تقوم بالدرجة الأولى على الرؤية البصرية بوصفها عامل شد وجذب للقارئ الصغير.

3-تعريف القصة الموجهة إلى الطفل:

لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور(القصَة الخبر وهو القصص، وقصَ عليَ خبره، يقصه قصًا وقصصا: أورده، والقصص: الخبر المقصود بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب لأثر.... والقص إتباع الأثر فلان وقصا وذلك ما اقتص أثره، وقيل القاص يقص القصص لإتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا)[3]؛ إنه اتباع الأثر والخبر والقص والرواية.

أما في الاصطلاح (فإن قصة الطفل النثرية هي جنس أدبي نمطي يسرد أساسا للأطفال كي يقرؤوه، أو يقرأ لهم، قصد التسلية والإمتاع، تراعى في تركيب عناصره، وتحديد

أجناسه وأنواعه، الخصائص النوعية والذاتية لنموهم الجسمي والنفسي والعقلي والاجتماعي والخلقي واللغوي، ثم الخصائص الموضوعية الخارجية، وكذلك المكونات العامة للجنس الأدبي، وسمات النوع)[4]، فلا شك أن الكاتب يراعي في القصة الموجهة للأطفال القدرات الفكرية والعقلية، والمكتسبات الثقافية، ولذلك تعتمد الرسومات بشكل كبير، فهو أدب مرحلة معينة من حياة الإنسان لها خصوصيتها.

4-عناصر الفضاء النصي في القصة الموجه إلى الطفل:

4-1-الغلاف:

هو أول ما يواجه القارئ ويعد محددا لهوية النص والتعريف به، ويشكل فضاء نصيا مهما لمقاربة النصوص (فتصميم الغلاف لم يعد حلية شكلية بقدر ما هو يدخل في تشكيل تضاريس النص، بل أحيانا يكون هو المؤشر الدال عل الأبعاد الإيحائية للنص)[5].

ويعطي غلاف العمل (هوية بصرية ينبغي أن نقبلها كإحدى هويات النص، فالغلاف هو أول من يحقق التواصل مع القارئ، قبل النص نفسه.. فهو الناطق بلسانه يحقق قراءة للنص وبالتالي يضع سمات النص وعلاماته وهويته)[6].

ويشمل الفضاء النصي عدة عتبات كما ذكرنا، ولكن سنتطرق هنا إلى العنوان والرسم والألوان بوصفهم عوامل جذب للطفل الصغير.

يظل العنوان مكونا ضروريا في إنتاج النص ومحددا لمضمونه، وهو علامة دالة محيلة إلى النص، بل هو هوية له، فهو يحول النص إلى بنية مختزلة للمتن القصصي، وهو بذلك يتحول من مجرد كلمة أو جملة إلى نص متكامل، وبذلك تغدو دراسة العنوان دراسة لخطاب متكامل، والعنوان القصصي الموجه إلى الطفل غيره الموجه إلى القارئ الكبير فإذا كانت عناوين النصوص الإبداعية الموجهة للكبار تنطوي على دلالات مكثفة،

فالموجهة إلى الطفل ببساطتها تحظر دالا على البساطة وفق ما يناسب وعي الطفل وإدراكه: **حيوانات الغابة الخضراء، الجميلة النائمة، ودعة وأخواتها، سارق الكعكة.**

إن المتتبع لهذه العناوين يجد أنها في مجملها جمل اسمية، وطبيعة الجملة الاسمية أنها الأنسب للوصف، وبالتالي فالكتاب الذين يكتبون للأطفال، يحاولون من خلال اختيارهم عناوين بجمل اسمية أن يقدموا للطفل وصفا عاما عن محتوى القصص وملخصا عن محتواها، مما يسمح بخلق تصور مسبق عن القصة لدى الطفل، فلو قلنا مثلا حيوانات الغابة الخضراء يدرك الطفل تماما من العنوان أن القصة ستحكي عن مجموعة من الحيوانات تسكن غابة خضراء والتي ستكون مسرحا للأحداث.

وعند قراءة الطفل عنوان "**ودعة وإخوتها السبعة**"، لأول وهلة يدرك أن القصة بطلتها فتاة اسمها ودعة ولديها سبعة أخوة، والأمر ذاته بالنسبة إلى "**الجميلة النائمة**"، فالطفل يستنتج أن البطلة فتاة وتتسم بالجمال، ثم حالتها أنها نائمة، وكذلك "**سارق الكعكة**" فالعنوان يركز على شخصية ذكورية نسبت إليها عملية السرقة.

ومن هنا فإن الجمل الاسمية تكون أكثر ملاءمة لقصص الأطفال لأنها تضع الطفل أمام تصور مسبق حول أحداث القصة ومجرياتها، وبالتالي تهيئ خيال الطفل لتصور القصة وتخيل أبطلها وأفعالهم، ومن جهة أخرى تشوقه لمتابعة أحداث القصة، وخاصة عندما نلاحظ أن الجمل الموظفة هنا غير تامة من حيث مكوناتها، فالأصل أن تكون الجملة الاسمية مكونة من عنصرين رئيسين هما المبتدأ وهو المسند إليه، والخبر وهو المسند، ولا تحقق الجملة الاسمية إلا بوجود العنصرين معا.

لكن ما نلحظه في عناوين القصص التي بين أيدينا أن في بعضها قد حذف الخبر، وهو ركن أساسي في الجملة الاسمية في العنوان الموسوم بحيوانات الغابة الخضراء، فإذا افترضنا حيوانات مبتدأ وهو مضاف، الغابة مضاف إليه مجرور، والخضراء صفة

مجرورة فأين الخبر، والأمر نفسه بالنسبة للعنوان ودعة وإخوتها السبعة، فهنا نجد أنفسنا أمام جملتين اسميتين محذوف فيهما الخبر، فودعة مبتدأ أين خبرها، إخوتها مبتدأ والهاء مضاف إليه مجرور، والسبعة تمييز أين الخبر.

وبخلاف ذلك فإننا في عنوان **سارق الكعكة** نجد أن المبتدأ هو الذي حذف، فالأصل أن يكون شخص ما نسبت إليه السرقة هو المبتدأ في الجملة، وهذا الحذف مقصود من قبل الكاتب والغرض منه تشويق الطفل لأحداث القصة وجعله يشعر بالمتعة. وبخصوص العنوان الرابع فلا نجد حذفا لكننا نجد تجاوزنا لشروط الخبر، فالأصل أن يرد نكرة فنقول الجميلة نائمة، لكن صاحب القصة اختار جعلها معرفة، وبذلك قد انزاح عن القاعدة النحوية التي تشترط أن يكون الخبر نكرة، ومعلوم أن دلالة المعرفة هي التحديد والتعيين، وبالتالي فإن كاتب القصة يقصد شخصية معينة هي بطلة القصة الجميلة النائمة وقد عرفها النائمة للتأكيد على أن أحداث القصة تركز على حالة النوم الطويلة التي وقعت بفعل تعويذة الجنية.

وبما أن القصص موجهة للطفل فإن عناوينها بسيطة في تركيبها ولغتها بما يتناسب مع قدرات الأطفال اللغوية والفكرية. كما أنها مستمدة من وسطهم الاجتماعي والبيئي مثل الحيوانات، الغابة، الأخوة، كما أنها تستهدف غرس الفضائل والقيم في نفوس الأطفال. إن العناوين القصصية تفتح على جمل بسيطة واضحة، وهي ليست عصية على الفهم والاستيعاب فالمتلقي طفل صغير وقارئ مبتدئ، ولربما لم يحسن بعد القراءة السليمة فيعتمد أكثر على الألوان والرسوم وتكون أكثر جاذبية له.

فعنوان **"سارق الكعكة"** مثلا يؤطر موضوع النص بالإشارة إليه ويكثف النص ويختصره ويقوم بوظيفة الاحتواء لمضمونه، ويخلق لدى المتلقي أفق توقع وانتظار؛

والذي يشير بأن هناك سارقا ولا شك سيفضح أمره، وما يجعل الطفل يمضي في قراءة النص وتتبعه باحثا عبر صفحات النص عن الأفكار التي أوحاها العنوان وقدمها له.

كما جاءت الرسوم والألوان لتخدم العنوان؛ إذ تظهر يد اللص لا غير، فأمره من البداية غير معلوم وتحضر الألوان الداكنة طاغية على الغلاف فالسرقة لا تكون في النور حتى لا يفتضح الأمر، فتبدو الأمور معتمة بالغموض من العتبات الأولى إلى أحداث النص في المتن القصصي، وهنا ينهض النص بعلاقتة المرجعية للعنوان الذي كان علامة أولى لبداية النص ويتولد من العنوان الذي يتولد عنه.

ولما كان العنوان هو عتبة النص وأول ما يلتقيه القارئ كونه على ظهر الغلاف كان حضوره مرافقا للصورة وهي أكثر جاذبية للطفل، وبذلك يمكن عده بابا تجاريا لإغرائه، وبالتالي يسهم في تواصل القصة وتداولها، وهو وسيط للاقتناء والإقبال على القصة، ومن جهة يساعد على إضاءة النص وتوجيه أفكاره البسيطة للطفل.

واللون (لا يؤثر في قدرتنا على التمييز بين الأشياء فقط، بل ويغير من مزاجنا وأحاسيسنا ويؤثر في تفصيلاتنا وخبراتنا الجمالية بشكل يكاد يفوق تأثير أي بعد آخر يعتمد على حاسة البصر أو أي حاسة أخرى)[7].

فمثلا غلاف قصة "**الجميلة النائمة**"نجد في حضور رسم الأميرة مرفقا بالحيوانات مثل الأرانب والسناجب والغزلان والعصافير، رؤية جذب بصرية للفتيات بما أوحته صورة للأميرة بفستانها الملكي وبلونه الوردي ،كما يثير في المرسل إليه جمالية تبعث على السرور؛ الذي تحققه الصورة بالألوان في دلالتها ووظيفتها في قراءة القصة، ومن جهة يصبح هنا الغلاف علامة إشهارية غايته جذب القارئ، فهو عامل مهم في تسويق القص.

كما تطابق العنوان والرسم المرافق له في قصة **"حيوانات الغابة الخضراء"**؛ إذ شكلت الصور بكل الألوان ورسوم حيوانات الغابة الخضراء دلالة كلية على محتوى القصة تعمل على جذب الطفل بمجموعة الحيوانات التي تظهر في غلاف الصورة: الفيل، الزرافة،فرس النهر، التمساح، الأسماك،العصافير، فأسند النص القصصي إلى العنوان، ونجد أغلب الألوان الأساسية تحضر في الغلاف لتمثل عامل جذب مهم، وهي علامات غير لغوية تحضر للتعريف بالنص، كما توضحه أغلفة القصص.

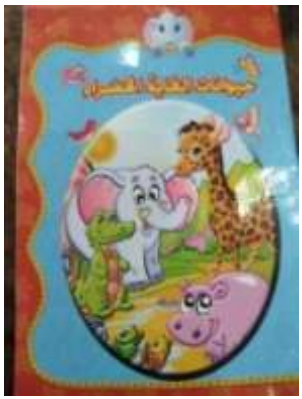

4-2-الفاتحة النصية: تتعدد تسميات الفاتحة النصية في الخطاب المعاصر من الاستهلال، البداية، المطلع، الافتتاح... وقد اصطلح عليه ابن حجة الأموي بجنس

الابتداء (أول شيء يقرع الأسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين ويتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنبه)[8].

وكانت الفواتح النصية بابا للدراسة من قبل البلاغيين يقول جلال الدين السيوطي: (ينبغي للمتكلم شاعرا كان أو كاتبا أن يتألق في مواضيع هي محل تشوق النفوس ويبالغ في تحسينها بأعذب لفظ وأجزله...وأصحه معنى وأوضحه أحدهما الابتداء لأنه أول ما يقرع السمع فإنه كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولوكان الباقي في غاية الحسن)[9].

إذا ما حاولنا الحديث عن الفواتح النصية في قصص الأطفال فإننا نلاحظ بعض الفواتح النصية أو الصيغ الاستهلالية تشيع في تراثنا العربي من قبيل حدثني، كان يا ما كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، يحكى أن، قال الراوي، بلغني، حدثني، زعموا أن... وهذه الصيغ في حقيقة الأمر تعبر عن التراث القصصي العربي الأصيل.

يفتتح السرد في قصة **ودعة وإخوتها السبعة** بالقول :(يحكى أنه في قديم الزمان وسالف العصر والأوان كانت هناك عائلة من تسعة أفراد تعيش حياة مليئة بالفرح والسعادة...)[10]، وصيغة(يحكى أنه في قديم الزمان) مأخوذة من ألف ليلة وليلة "**كان يا مكان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان**"، ويمكن من خلال هذه الصيغة التماس التشابه الطريف بين الحكاية الشعبية والقصة والأسطورة أو الخرافة[11].

كما تحيلنا هذه الصيغة إلى الماضي البعيد، غير المحدد زمنيا فلا يمكن ضبط هذه الصيغة ضبطا تاريخيا، ويجد السارد في هذه الصيغة حرية التصرف في الأحداث وفق ما يريد، ومن أي زاوية يشاء يلج عالمه القصصي.

وهذه البنيات الاستهلالية لها تأثير واضح في العلاقة بين ذلك التتابع الزمني الخاص بالمتن الحكائي بين زمن القصة وزمن السرد، فعبارة " كان يا مكان، يحكى أن..." تجعل التزامن في الأحداث يترجم إلى تتابع في النص، فتلك الصيغة تعتبر نقطة انطلاق يختارها الراوي، وهي التي تحدد الأحداث وتضعها فيخط زمني وبعده يأخذ السرد زاوية يسرد فيها الأحداث.

والفاتحة النصية لهذه القصة جعلت الأحداث متسلسلة تسلسلا يسير في خط واحد، وفق تتابع زمني وحكائي واحد لا يحيد عنه:

-اللعنة التي تصيب الأسرة إذا ولدت الأم بنتا.

-تشتت الأسرة وضياعها.

-وفاة الأم.

-تظهر البنت وتكون سببا في لم شمل الأسرة من جديد.

إلى جانب هذا نجد هذه الصيغ قد أتاحت للراوي معرفة كل ما يتعلق بشخصيات عالمه القصصي ومسار حياتهم وتحركاتهم.

وتحكي قصة **سارق الكعكة** عن الطفل سامي الذي تتهمه أمه بسرقة الكعك في كل مرة، لكن سامرا حز في نفسه اتهام أمه له، فكان أن بحث واستقى الأمر واقتفاه حتى وجد السارق الحقيقي بعد أن تبعه إلى الكهف، أين وجد المكان مليء بأنواع الحلويات، أخبر سامر أهل القرية بأن الغول هو السارق الحقيقي...

الفاتحة النصية التي اختارها الراوي كالآتي:(في أحد الصباحيات الشتوية، لم يكن صباح سامر جيدا، فقد اكتشفت أمه انه تناول الحلويات للمرة الثانية، دون إذنها وعاد

ينكر أنه أكل الحلوى، فلم تصدقه)[12]، وهذه الصيغة أو الفاتحة "في أحد الصباحيات الشتوية" مأخوذة من الفرنسية.

إن الزمن سرديا في هذه الفاتحة النصية استبق الأحداث عن طريق الشك، ويمكن تلخيص مجريات هذه القصة حتى يتضح ذلك في زمن السرد:

-اكتشاف الأم تناول سامر الحلوى وتوبيخه له.

- سامر يفكر في طريقة ليوقع بالسارق.

- تتبع الطفل سامر للغول ليكتشف أمره.

- إخبار سامر أهل القرية بالسارق الحقيقي.

إن الحديث عن التداخل الزمني في القصة الموجه للطفل لا يحضر بالصورة ذاتها كما في القصة أو الرواية الموجه للكبار؛ ذلك أن التشظي الزمني تقنية يستخدمها الكاتب لخلق متعة في نصه، وهي تقنية عصية على استيعاب ذهن الطفل وفهمه لأحداث القصة....

أما قصة **حيوانات الغابة الخضراء** فتبدأ بقول السارد :(في قديم الزمان يحكى أن أسدا حكيما كان يعيش في أرض واسعة مع الحيوانات في أمان تلعب وتمرح)[13].

الملاحظ من خلال هذه الجملة الاستفتاحية التي بدأت باستهلال "في قديم الزمان يحكى أن"أنها من التراث كما سبق الذكر وهي غير محددة بزمن معين إلا أنه بعيد، وقد تم تحديد الشخصية الرئيسة والمحورية لحيوانات الغابة وهو الأسد ملك الغابة كما يعرفه الأطفال التي يحكي عليها السارد، وقدم بعض صفات الأسد (الحكمة)؛ إذ أراد بذلك أن

يعطي تعريفا بشخصية الأسد في القصة وأنه يتسم بالحكمة، وقد وضع الكاتب هذه الأسطر مرفقة برسم يوضح عيش هذه الحيوانات في سعادة تامة كما ذكر تمرح وتلعب فرحة مبتسمة ضاحكة والقرد يقفز على قدم واحدة والكل يضحك سعيدا، وجاءت هذه الصيغة الافتتاحية لهذا العمل القصصي بسيطة،وبساطة هذه الجملة التي افتتح بها القاص نصه فكرة عامة تشد الطفل لقدرة استيعابه لها فيتواصل مع أحداث القصة ويتابع الحكاية باهتمام إلى النهاية.

وفي **الجميلة النائمة** يفتتح النص القصص في هذه القصة بقول السارد: (في الماضي البعيد، كان يعيش ملك وملكة. إلا أنهما لم يرزقا بالأطفال، وبعد مدة طويلة من الانتظار رزقا طفلة صغيرة حلوة الملامح فغمرتهما البهجة السرور...)[14].

هذه الفاتحة التي تبدأ بصيغة في" الماضي البعيد"، تحدد الزمن بالماضي البعيد؛ فالفقرة الافتتاحية وضعت المتلقي الصغير أمام معطيات الأسرة (الملك والملكة) اللذان رزقا بطفلة بعد مدة طويلة من الانتظار، ثم قدمت البرنامج السردي في السياق القصصي بعد أن بنيت معالم السعادة، وهذا التقرير المباشر الذي اعتمدته الفاتحة النصية لا يرهق المتلقي الصغير في استيعاب مضامين القصة وأهدافها على الإطلاق بل يجعله ضمن الجو العام للمتن القصصي، برغم وجود الاستباق الزمني الذي يتمثل في تعويذة الجنية حول الطفلة وموتها حين بلوغها سن السادسة عشر، فهذا التداخل الزمني البسيط يمكن للطفل استيعابه، بل يجعله يتقصى أحداث القصة ويتابع تسلسلها ليقف على تحقق الاستباق أم لا. وقد جاءت الأحداث على الشكل الآتي:

-إعداد الوليمة فرحا بقدوم المولود.

-غضب الجنية لعدم دعوتها لحضور الوليمة وإطلاق تعويذتها بموت الأميرة في سن السادسة عشر.

-محاولة إبطال التعويذة من قبل الجنية الثانية عشر الخيرة.

-ظهور الجنية الشريرة بعد ستة عشر سنة، ودخول الأميرة في نوم عميق بعد جرحها.

-نوم سكان القلعة مدة طويلة، واختفاء القصر.

-ظهور أمير وإنقاذ الأميرة واستيقاظ كل من المملكة.

ومثل هذه الفواتح النصية والمقاطع الاستهلالية بأنواعها(يخترق وجدان القارئ الصغير، ويقتحم عليه عزلته ليوجهه، ويضعه في مسار حكائي يجعله يتابع ما سيقع ويتقبل نتائجه ويتقبل نتائجه، يتعاطف مع الشخصية القصصية)[15]، ويعيش معها.

3-4-**الرسومات والألوان**:لعل الرسومات والألوان هي أول ما يؤثث لقصص الطفل، وتخلق بذلك التمازج بين اللفظ والرسم واللون صورة متكاملة في ذهن المتلقي الصغير فيجمع شتاتها اللفظي الذي يمثله السواد على الورق من تأثير الألوان لا سيما الأساسية منها والصور فتغدو له القصة صورة متحركة أمامه بكل عناصرها فيسمع زقزقة العصافير وخرير المياه وحفيف الأشجار، فيصبح هذا الفضاء هو المؤسس الفعلي لقصص الطفل، ذلك أنه من شأنه العمل على جذبه أكثر من أي عنصر آخر، ومن ثم الأخذ بمعاني القصة فتصبح مكونا رئيسا في الجانب التعليمي.

ومن شأن الألوان والرسومات تقديم النص، مثل ما تزخر به قصة حيوانات الغابة الخضراء، كما جعل القاص القصة على شكل حوار بين حيوانات الغابة وكتب كل اسم حيوان بلون مغاير للون كتابة القصة "الأحمر" بغية لفت الانتباه وإبرازه: الأسد، الزرافة، الفيل، القرد، الثعبان، العصفور، فرس النهر، السمكة وجعلها تتحاور في ما بينها وتتشاور لإيجاد حل لمشكل جفاف النهر ومساعدة الأسماك، فكان التعاون هو الفكرة المؤسسة للنص وكل الحيوانات تعاونت وشاركت بفعل حكمة ملك الغابة الذي

رأى في التعاون والاتحاد مخرجا وحلا لأزمة الجفاف(الأسد: إذا تعاونا واتحدنا سنجد الحل ...)[16]

والصور تظهر دلالة التعاون والتشاور صفة حيوانات الغابة برغم اختلافهم، وتظهر جليا من خلال أفعالهم لإنقاذ السمكات فالزرافة والثعبان والقرد والعصفور تفرقوا للبحث عن الماء والتمساح فتح فمه والفيل ملء خرطومه بالماء وأفرغه في فم التمساح حي يتم وضع السمكات فيه وتنقل إلى نهر آخر.

ونجد مثل هذه الأحداث التي تنطوي على أفكار معينة يمكن من خلالها تكوين شخصية الطفل وحمله مبادئ؛ (فأفضل ما يقدم للأطفال من القصص، قصص تنطوي على حقائق تستطيع أن تخلد، وتلهم الحياة الداخلية الشعورية للإنسان، وهي التي لا تحيي في الأطفال العواطف الحمقاء، أو الشعور الواهي، بل تكون فيهم دقة الشعور، ورقة الإحساس، مثل هذه القصص تمكن الأطفال المشاركة في العواطف والأحاسيس الإنسانية الكبرى، وتزودهم باحترام الحياة الإنسانية العالمية، وتقديرها، ومن ثم، يقدرون حياة الحيوان والنبات، ويتعلمون كيف لا يحتقرون أي شيء غامض في المخلوقات أو الإنسان)[17].

يعتمد القاص في خلق دلالته القصصية وتوليد عناصرها من تمازج اللون مع الرسم، ويتفاوت تفاعل الطفل معها حسب حيوية هذا المشهد اللوني ومدى إثارته له، فيتعامل الطفل مع هذه الرسومات لا سيما الشخصيات التي تتباين في أشكالها وأفعالها فيتعامل الطفل حسب التأثير التي خلفته ويتخذ مواقف إزاءها. مثل العجوز الجنية في "**الجميلة النائمة**"، التي تظهر بصورة صاحبة الأنف الطويل كما اعتاد عليها الأطفال في أغلب قصص الأطفال والرسوم المتحركة، وقد أصبحت مرجعية لذلك حتى أنها أثرت خياله وأفكاره فيتعرف على الأشياء ويستطيع أن يكون عاطفة معينة تجاههم بالحب أو

البغض، ونجد هذا أيضا في قصة "ودعة وأخواتها"والتي تظهر الشخصية الشريرة فيها عجوز بوجه قبيح تملؤه البثور كما يظهر في غلاف الرواية المقدم.

وتحضر صور مرسومة لحيوانات وتكاد تكون هي الصور الغالبة على قصص الأطفال، فتشكل الحيوانات بأنواعها حضورا قويا في النص القصصي؛ ذلك أن الحيوان هو الأقرب إلى الإنسان لا سيما الطفل الصغير الذي يشكله في عالمه الصغير فتنمو بينه وبينها علاقة قوية خاصة الأليفة منها، ولعل هذه العلاقة هي التي جعلت قصص الأطفال تعج بكم هائل من صور ورسومات للحيوانات حتى أنها تأخذ البطولة في القصة مثل قصة " **حيوانات الغابة الخضراء**، وفي أخرى تشاركها الأدوار، فتحضر لتكون مساعدة للإنسان وصديقة له.

(ويعد هذا النوع من القصص-الحيواني- من أقدم أنواع القصص وجودا، وليس هناك جنس أدبي يفوقه في عالميته وذيوعه، وقد أفاد الإنسان لإفادة عظيمة من صفات الإنسان وسلوكياته، وقد اتخذ من صفات الحيوان وسلوكياته قصصا تحكى ليقرب إلى عقل الإنسان وقلبه بعض القيم والآداب مثل: الشجاعة والوفاء والكرم وغيرها)[18].

إن القاص وهو يوظف شخصية الحيوان وصورته في القصة يعطيها صورة رمزية بسيطة وفق ما يتناسب وذهن الطفل ومخيلته وقدرة استيعابه، فيسعى ألا يعطيا أبعادا دلالية أكبر من مستوى تفكيره، حتى يستطيع إدراك موضوع النص ببساطة تفكير وسلاسة.

إلى جانب رسومات الحيوانات نجد النبات ولا سيما الأزهار ذات الألوان الزاهية التي تبعث في النفس الفرح والسرور، وتحضر لتكون دالة على الحب والحياة، وألوانها الأساسية الغامقة الأحمر الأزرق الأخضر والأصفر كما هي في القصص ترتبط بالخصب

والنماء دلالة على وجود الحياة على وجه الأرض، وكما تبث السعادة والفرح في نفس البشر ما بالك الطفل الصغير.

مقابل ذلك نجد الأعشاب والأشواك الدالة على الموت والنهاية في قصة الجميلة النائمة، فتغزو القصر وتغطيه لتكون دلالة على الموت، هي تحضر بوصفها علامة على الشر الذي تجلى في السحر الذي مارسته العجوز على أهل القصر فناموا جميعا وانتهت الحياة والحركة في القصر بأكمله ما جعل الأعشاب والأشواك تنمو وتغطيه بالكامل، فهو علامة إشارية على الموت الحياة في القصر والفناء والمصير المأساوي للملك وأسرته وكل حاشية التي في القصر، فالنبات هنا يرتبط ارتباطا وثقا بالدلالة السلبية.

استطاع الفضاء النصي أن يجد لنفسه مكانة تفوق المكتوب، فالنص القصصي الموجه إلى الطفل لا ينتهي ويتوقف عند دال اللفظ، بل هناك ما هو أبلغ من الكلام وأكثر حضورا وتأثيرا منه في ذهن الطفل الصغير؛إنه اللون المرافق للصور، فضاء الصور والرسوم مبني على الألوان وكلها تقوم بتعريف النص من الداخل وإنارته.

4-4- الخاتمة النصية:

الخاتمة عتبة خروج للنص وإعلان على نهايته،وهي حصيلة لتطور الأحداث وهي تحمل موقفا وحكما عليها في الأخير، لأنها (نتيجة النص ونهايته)[19].

إنها ركن أساسي في العمل القصصي ودوما تبقى عالقة في الذهن، فالفرد يميل إلى انتظار النهاية وكأنها في لحظة تختزل الأحداث ويعمل السرد على تكثيفها، إشباع فضول الطفل فالطفل متلقي ينتظر ويتطلع بشغف ما ذا ستسفر عنه الأحداث بعد تأزمها، فالنهاية تفك خيوط النص وتنبلج معها تساؤلات الطفل وتشبع فضوله بما أسفرت عليه النهاية.

تبدأ القصة هادئة ومتنامية وسلسة وفي الوقت ذاته مشوقة لا سيما حين يشعر القارئ ويلفت انتباهه أن هناك حدث قادم من شأنه تغير مجرى الأحداث ككل في حين تأتي الخاتمة سريعة تتغاضى عن كثير من الأحداث الذي قد يعدها القاص هامشية.

وتكاد الخاتمة النصية في القصص الموجه إلى الطفل تكون واحدة إعلانا بانتهاء الأحداث وتبين الحقيقة وانتصار الخير على الشر، وهي عادة النهايات في قصص الأطفال.

وعادة تظهر نقطة النهاية في آخر ورقة من القصة إعلانا ظاهرا وواضحا بانتهاء الأحداث، لم يبق بعدها ما يقرأه الطفل، فنقطة النهاية بوصفها علامة ترقيم تعلن عن انتهاء القص.

في حين نجد قصة"**ودعة وأخواتها**" يعلن القاص فيها بنهاية القصة بوضع نقطة أسفرت على نهاية الشر بإعدام العجوز الشريرة معلنة بذلك انتهاء السرد، ثم أعقبه بكلمة "النهاية" بين شولتين وقد أتت بلون أحمر جاءت دلالته معبرة عن الخاتمة وإيذانا بالنهاية، ثم يضيف على عليها بحكمة خرجت بها القصة وبلون أحمر كذلك مغاير للون كتابة المتن وفي هذه اللحظة ينتهي السرد وأحداث القصة كالآتي: "النهاية" (الحكمة من هذه القصة يا أعزائي الأطفال، إن شمل العائلة متين لا يقطع بسهولة)[20]، وقد جاءت باللون الأحمر.

وفي قصة "**حيوانات الغابة الخضراء**" يفسح المجال سرديا في هذه القصة للشخصية لتعلن خاتمة القصة وتؤثث لنهاية سعيدة وهي عبارة عن نصيحة يقدمها الأسد ملك الغابة، وإعطاء المهمة للأسد لإعلان النهاية تكون أقرب استيعاب للقارئ كونه ما يزال مشدودا إلى الشخصيات الحيوانية وأدوارها في النص، ومن شأن قول الأسد أن يطوي أحداثا ثانوية لا تخدم السرد وبالتالي توقيف زمن السرد الذي أصبح أقصر تماما من زمن القصة.

أما قصة **سارق الكعكة** فيغلق الفعل السردي على الحوار بين الأم وابنها، وسعادته بعد ظهور الحقيقة في براءته وظهور الحقيقة (وعند المساء جلس سامر مع والديه يتكلمون عن الغول اللص، فقالت له أمه: "لا تحزن لأنني اتهمتك بسرقة الحلوى يا صغيري"، فقال لها: "أنا سعيد لأنك الآن صدقت أني لم أكذب ولم أسرق")[21].

ولا شك أن الطفل في هذه القصة يسترجع البدايات الأولى وربما الفاتحة النصية ليؤكد العلاقة الوطيدة بين الفاتحة النصية والخاتمة، أين بدأت الأحداث تتأزم عندما شكت الأم في ابنها واتهمته بالسرقة لتنبلج الأحداث على براءة الابن في النهاية بمعرفة السارق.

وتنتهي أغلب القصص بالنهايات السعيدة، وانتصار الخير على الشر وموت الشرير، وكانت تقدم على شكل نصيحة للأطفال.

5-الخاتمة:

إن البحث في الفضاء النصي ومدى علاقته بالمتن القصصي الموجه إلى الطفل هو مدخل مؤطر لاشتغال النص وتداوله بين القراء الصغار.

-إنه يؤثث عالم القارئ الصغير فيحرك أفكاره ويجعل ذهنه يعمل لنسج أحداث كرؤية استشرافية تخيلية للمحكي القصصي، لاسيما إذا كانت مرفقة بالصور الملونة الملفتة للانتباه، ذلك أن الرؤية البصرية أول ما يعتمده الطفل الصغير في الإقدام على الشيء والإقرار به، كما أن الرسومات والصور تعد أهم الوسائل التعلمية بوصفها وضعية انطلاقية لبناء التعلمات وصولا بها إلى الكفاءات المستهدفة.

-تعمل بعض عتبات النص لا سيما الرسومات والألوان على إدخال السرور والبهجة إلى نفوس الأطفال الصغار إلى جانب التسلية والمتعة، كما تسهم في تبسيط المفاهيم المجردة بما يناسب مستواهم الإدراكي.

-كان الفضاء النصي متكاملا مع الأحداث في تسلسلها الزمني الخاضع لمنطق التتابع البسيط وفق استيعاب ذهن المتلقي الصغير.

-من شأن الفضاء النصي أن يؤسس لحضور النص، ويجعل الوظيفة التي يؤديها ذات أهمية في بناء الخطاب القصصي الموجه إلى الطفل وتشكيله، لذا وجب الاعتناء به لاسيما العتبات التي تؤثر في الرؤية البصرية وتعد عامل جذب من الوهلة الأولى مثل الرسومات والألوان، إذ لا زال القصور يشوبها في العالم العربي والجزائري بالتحديد برغم التقنيات الحديثة في مجال الصورة فكثيرا ما نجد الصور والرسومات جافة تنعدم فيها الحياة والحركة،وألوانها باهتة والأوراق من النوع الرديء لذلك وجب الاعتناء بهذا الفن على أكمل وجه في سبيل شباب المستقبل.

الهوامش:

1- أحمد نجيب، أدب الأطفال، علم وفن، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، 2000، ص 160، 161.

2- المرجع نفسه، ص79.

3 - ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، 1997، ص 47.

4 - محمد قرانيا، 2010، تجليات قصة الأطفال، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، ص13.

5- مراد عبد الرحمن مبروك، جيوبوليتيكا النص الأدبي، تضاريس الفضاء الروائي نموذجاً، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، مصر، 2002 ، ص 124

6- حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، بيروت، 2000، ص22.

7- سلمان كاصد، الموضوع والسرد، مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي، 2002، ص181.
8- عبد الحق بلعابد، فتوحات روائية،قراءة جديدة لمنجز عربي جديد، ابن النديم، ط1، الجزائر، 2015، ص 53.
9- المرجع نفسه، ص53.
10- خديجة دغنوش، ودعة وإخوتها السبعة،دار بن زايد للطباعة والنشر،دط، بسكرة، الجزائر، دت، ص1.
11- جميل شاكر وسمير المرزوقي ،مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية، الجزائر، الجزائر،دت، ص 58.
12- هادي السيوفي، سارق الكعك، مؤسسة بوسحابة للنشر والتوزيع، دط، عين البيضاء، الجزائر، 2017، ص1
13- سلسلة حكايات يحبها الجميع، حيوانات الغابة الخضراء، تر/عبد الرحمن خياطة ، دط، الجزائر، 2016، ، ص1.
14- سلسلة حكايات يحبها الجميع، الجميلة النائمة، تر/عبد الرحمن خياطة دط ، 2016، ص 1.
15- محمد قرانيا، أصياف قصص الأطفال في سورية، دراسة تطبيقية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2013، ص352.
16- حيوانات الغابة الخضراء، ص 12.
17- علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو، ط7، القاهرة، 2007، ص183،182
18- أحمد سمير عبد الوهاب أدب الأطفال، قراءة نظرية ومناهج تطبيقية، دار الميسرة، ط1، عمان، 2006، ص 135.
19-جميل الحمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة الفكر، الكويت، مجلد 25، ع3، يناير - مارس1997، ص108
20- خديجة دغنوش، ودعة وإخزتها السبعة، ص 8.
21- هادي السيوفي، سارق الكعكة، ص 16.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊